

" من يهن يسهل الهوان عليه،
ما لجرح بميت إيلام "

من يمثل لبنان؟

إنّ ما شهدناه خلال الأيام القليلة الماضية من مهرجانات شعبية فلكلورية لمبايعة الرئيس السوري، هي دون متوسطّ الذوق اللبناني من الناحية الفنية، وأقلّ من الحدّ الأدنى للكرامة الوطنية من ناحية الحضور. فالعُراة من الذوق والكرامة لا يحقّ لهم أن يُكرّموا أو يُكرّموا.

لقد تحوّل الساسة اللبنانيون ومن حولهم إلى ندّابين في المآتم السورية، يفجعون ويولولون أكثر من أهل الفقيد، كأولئك النذابات المستأجرات لتأدية دور فوق جثمان الميت، ينهينه باستلام أجرهن وينصرفن ليفجعن على ميت آخر في مآتم آخر.

أمّا بمناسبات الأفراح فيتحوّلن إلى غانيات راقصات، وقد متّعونا بوصلاتهم الفنية على شاشات التلفزة. نستغرب ونستنكر ظهور رئيسي مجلس النواب والوزراء في احتفال تحت رعاية مسؤول المخابرات السوري في لبنان، ونحملهما مسؤولية عدم المحافظة على كرامة من يمثلون. فمن لا يستطيع المحافظة على الشكل لا يستطيع المحافظة على الجوهر، مع علمنا بأنهم فقدوا الجوهر منذ أمد بعيد، ويعلنون اليوم فقدانه رسمياً. وإذا كان الظهور في غير الموقع اللازم يهدر الكرامة، فإنّ عدمه عند وجوبه يفقد الكرامة أيضاً وهذا ما حدث في مآتم جلالة الملك حسين رحمه الله.

بالإضافة إلى ذلك أخذ النظام السوري قراراً بتركيز أقلام اقتراع على الأراضي اللبنانية كما لو أنّها أراضٍ سورية، وبسط سلطته عليها رسمياً.

لقد أنهى النظام السوري عملية الهضم الواقعي للوطن اللبناني، فأطاح بالاستقلال والسيادة، وقمع الحريّات العامة، كما أفرغ المؤسسات من مهمّاتها، وربط الأراضي اللبنانية بالأراضي السورية من خلال ربط الجولان بجنوب لبنان. وبعد إنهاء الهضم الواقعي، بدأ بقضم لبنان قانونياً، بالغاء الصفة التمثيلية للمسؤولين اللبنانيين في المفاوضات الدولية حول السلام وحول جنوب لبنان، وذلك من خلال توحيد المسارات. وهو يقضي أيضاً على صفتهم البروتوكولية من خلال تغييبهم عن المناسبات الاجتماعية.

لقد أبرز الرئيس السوري كمجسّد لإرادة الشعب اللبناني عند تعيينه رئيس الجمهورية، واليوم يجري إبرازه كمنمّل لهذا الشعب، وغداً سنلغى مراكز الحكم في لبنان فيرتبط مباشرة بالإدارة السورية من خلال موظفين يوضعون في مراكزهم حالياً تحت شعار الإصلاح بعد أن تمرّسوا بالتعاطي المباشر مع المسؤولين السوريين.

أنّ اللبنانيين أن يعوا مسؤولياتهم، ويطلبوا من الذين يدعون تمثيلهم إيضاحات حول ما يحدث، ومواقف عملية تدحض ما نقول. وهم ملزمون، في مطلق الأحوال، بالدفاع عن وجودهم وليبدووا بالتعبير الصارخ عن رفضهم، أمّلين بأن تكون وسائل الإعلام حاملة لهذا التعبير لا خانقة له.